البنيوية خصائصها وآلياتها الإجرائية

01- خصائص البنيوية:

لا بد ونحن نتحدث عن البنيوية أن نستشف مميزات وخصائص تميزها عن باقي المناهج الأخرى وتتمثل خصائص المنهج البنيوي في ما يلي:

- التحليل الشمولي: حيث ترى أن الأشياء لا توجد في معزل عن بعضها البعض، بل ضمن كلية مجتمعة كنسق من العلاقات تحافظ على كيانها الداخلي.
- القيم الخلافية: الذي يتمثل في**<<الاعتراف بالفوارق بين المجموعات المنتظمة ومعرفة العلاقة بينها>>** ؛حيث يتوقف على السياق لتجسيد تلك الفوارق بين المجموعات المنتظمة الذي يكسب أنساقها أشكالا وألوانا يتحدد بها البناء الكلي .
- التحليل المنبثق: الذي يركز على دراسة البنية متخذا منها النواة التي ينبثق عنها.
- قاعدة المناسبة دراسة العناصر المكونة للموضوع، وطريقة قيامها بوظائفها.
- الامتداد عمقا: وهو الأمر الجوهري الذي يميز المنهج البنيوي، إذ يعيد التركيب والبناء بعد الكشف عن الميكانيزمات الحركية داخل النظام التي تساعد على كشف أسرار التفاعل الواقع بين أجزاء البنية في علاقاتها التواصلية والتشابكية.
- **النص وحدة دالة:** تنطلق البنيوية من مسلمة أنّ الأدب مستقل تماما عن أي شيء؛ إذ لا علاقة له بالحياة أو المجتمع أو نفسية الأديب إذ لا يهتم البنيويون بالبعد الذاتي و الاجتماعي للأدب واعتباره كائنا مستقلا وجسدا لغويا ملتحما فمن الضروري التركيز على الجوهر الداخلي للنص الأدبي لأن هناك تكمن الأدبية. وينطلق البنيويون أيضا من مقدمات لها مسعى نقدي يكمن في رفض المناهج السابقة (السياقية) التي عجزت عن تحديد أدبية الأدب واعتبروا مهمة الناقد هي التركيز على النص وبنيته العميقة التي يتم الكشف عنها بتحليل منهجي منظم.
- **القارئ كاتب ثان:** اكتسب مفهوم الكتابة والقراءة حيزا في المنهج البنيوي الذي أصبح له بعد ذلك بعدا أوسع في مناهج ما بعد البنيوية وكان التركيز على هذا المفهوم مرتبط بتلك القفزة من الاهتمام بالمؤلف إلى الاهتمام بشبكة العلاقات التي ترتبط فيما بينها لتكون بنية كلية للعمل الأدبي فصارت الكتابة منظومة من القواعد التي تحتوي على تفاعلات نصية، وصارت القراءة قرينة بالنص المنطوي على معاني ثابتة ويكون دور القارئ عندها دور المحلل التركيبي والمركب المحلل الساعي إلى كشف شبكة العلاقات والقبض على معانيها.

02- الإجراءات النقدية للتحليل البنيوي:

بداية يجب التنويه بأنه لا يوجد قواعد وآليات بنيوية مضبوطة يستخدمها الناقد والمحلل البنيوي في مقاربته للنص الأدبي مما جعل النص الإبداعي يمارس سحره اللامحدود أمام المادة النقدية، ولكن رغم هذا سعت البنيوية باتجاهاتها المختلفة أن تباشر محاولتها للقبض على تلك الجماليات المرتمية في المجهول والمتمردة في عالم النص الأدبي . فما هي أهم هذه الإجراءات البنيوية؟

إنّ التحليل البنيوي للنص ينبثق من ذاته، إذ يتأمل الناقد الاتساق والأبنية الموجودة في النص وطرق أدائها لوظائفها وعلاقة بعضها ببعض، شرط ألا يتجاوز خارجه، لأن البنيوية لا تفصل بين الشكل والمضمون اللذان هما أساسا التحليل؛ حيث لا يكسب المضمون مضمونيته إلا من خلال بنيته(شكله) التي توحي بفكرة المحتوى. وبذلك تقارب البنيوية النصوص الأدبية من منظور نسقي مغلق على بنياتها اللغوية والدلالية بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية من خلال عمليتي "التفكيك والتركيب".

ترى "يمنى العيد" أنّ هدف البنيوية هو كشف عناصر البنية من خلال النظر في نسيج العلاقات اللغوية وأنساقها وبنيتها العميقة وأشكال التكرار في النص، إضافة إلى كشف آلية الحركة فيه. ويأتي صلاح فضل محاولا تأسيس مقاربة بنيوية للنص الأدبي انطلاقا من مستويات متعددة يؤدي ترابطها إلى الكشف عن الدلالات التي تتضمنها البنيات، بدءا بأصغر وحداتها كالفونيم وانتهاء إلى البنية الكبرى له. ويعرضها "صلاح فضل" على النحو التالي:

أ-**المستوى الصوتي:** يدرس هذا المستوى الحروف ورمزيتها وتكوينها الموسيقي من نبر وتنغيم وإيقاع والتي تقسم إلى مرحلتين هما:

- المرحلة الأولى: وهي المرحلة الصوتية الفونيمية التي تدرس البنية أو النظام الحرفي والحركي .
- المرحلة الثانية: وتسمى المرحلة النغمية التي تدرس فيها النبرة و نغمية التركيب.

و هاتان المرحلتان الصوتيتان تسعيان في نهاية الأمر إلى الكشف عن البنية الإيقاعية للعمل الأدبي الذي يشيع فيه جو نغمي يكفل له التميز و صنع الأدبية.

ب-المستوى الصرفي: وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة، فهو يمثل الخطوة الثانية، تتم فيه تضام العناصر الصوتية في نظام مورفولوجي تشكل بنى إفرادية، محددة الدلالة معجميا، التي يطلق النسق سراحها في مدارات الحقول الدلالية وتكون الفونيمات مواد بناء فقط خالية من المعنى. ويرصد هذا المستوى تلك البنى الإفرادية في النسق زيادة وتجديدا، الذي يوجه القارئ إلى فهم النشاط اللغوي في اعتبارات بعيدة وراء الصفات الموضوعية، أو الدلالية الموجهة. وتكون القراءة الصرفية ذات أهمية من خلال عاملين: نشاط التركيب وفاعلية السياق، الذي يفرض علينا النظر إلى المستوى الصرفي نظرة جمالية ونفتح أمامها مجال التعدد القرائي وإلغاء الدلالة المباشرة، موفقين بين حضور التركيب والسياق معا، لأنّ عزل الظاهرة الصرفية لا يؤدي إلا إلى تفكيك جاف، أما إدماجها فكفيل بمد مداراتها المعنوية وإضفاء صبغة جمالية على العمل الأدبي من شأنها أن تظهر أدبيته وتفرده. وبذلك تزداد قيمة المستوى الصرفي في تشكيله المختلف للبنى الإفرادية داخل النسق والتحام أجزائها لتمنح العمل الأدبي خاصية الكلية و تفرض على القارئ أو الدارس القراءة الكلية المترابطة دون إهمال عنصر أو إقصاء آخر.

ج- المستوى المعجمي: وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والحيوية والمستوى الأسلوبي لها.

د-المستوى النحوي: لدراسة تأليف وتركيب الجمل، وطرق تكوينها، وخصائصها الدلالية والجمالية، فإذا كان المستوى الصرفي لا يتجلى جماليا إلا من خلال التركيب المفرد فإن المستوى التركيبي أو النحوي لا يمكن أن يقف عند حدود الدوال في الصورة التي تدل عليه ابتداء، لأن ذلك يعد خاصية معجمية تسعى لإبراز خصائص البنى المفردة المعزولة عن التراكيب الإسنادية، فتكون تلك التراكيب الإسنادية خرقا للسكونية المعجمية وتحليل تلك التراكيب بمثابة تفجير لهيكل اللغة وإبراز كيفية الانتقال من الدال إلى الدلالة، لأن دراسة الخطاب أو العمل الأدبي من وجهة تركيبية معناه البحث في دلالته وأن الصفات المعجمية فيه مجردة من الدلالة التي تحيله إلى الغموض الجنوني الذي يفقده قيمته التواصلية والجمالية. إن الغرض من التحليل التركيبي ليس إثبات صحة القواعد وسلامتها، إنما المسك والكشف عن التنوع الدلالي وتنوع القراءة ؛ لأن العمل الأدبي مبني على علاقات ثنائية حاضرة وغائبة فالأولى مظهر تركيبي والثانية دلالي، أو الأولى بنية سطحية تحكمها الدوال والثانية بنية عميقة تندس في ظلال تلك الدوال.

هـ- مستوى القول: لتحليل تراكيب الجمل الكبرى من أجل معرفة خصائصها الأساسية والثانوية.

و- المستوى الدلالي: ويشتغل هذا المستوى بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة، والصور المتصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللغة ، وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب.

ز- المستوى الرمزي: تتفاعل المستويات السابقة لتكون دالا جديدا مما ينتج (مدلولاً) جديداً يقود بدوره إلى المعنى الثاني أو ما يسمى بـ(اللغة داخل اللغة). لتمثل هذه المستويات السبعة معالم عريضة للولوج في عوالم النص الأدبي لاستجلاء مكامنه الجمالية الخفية داخل نظام ثابت من العلاقات والظواهر التي تتطلب الصد المحايث والتحليل السايكروني.

الخلاصة

إن حقيقة البنيوية كمنهج ونظام هدمي/بنائي تتأتى من موقفها الثوري للسياق من جهة والمبدع من جهة أخرى فقد نظرت للنص كبنية مستقلة بذاتها وذلك سعيا منها إلى تحقيق علمية الأدب الذي يعد ضربا من المستحيل ويرجع قولنا هذا إلى طبيعة الأدب وجوهره، وهذا ما أكدته مناهج ما بعد الحداثة في فتحها لبنية النسق والانفتاح على مسارات التأويل ولا نهائية المعنى.

المراجع

1. صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط01، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1998م.
2. حبيب مونسي: نقد النقد المنجز العربي في النقد دراسة في المناهج.